مجلة منتدى الأستاذ
المجلد: 21 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2025 الصفحات 440- 449

# السّخرية كآليّة تعبيريّة مقاومة لسرديات العولمة

## مقاربة في النقد الثقافي لكتاب "قلوبهم معنا.. وقنابلهم علينا" للكاتبة أحلام مستغانمي

# Irony as an Expressive Mechanism Resisting Globalization Narratives: A Cultural Criticism Approach to the Book "*Their Hearts with Us… and Their Bombs on Us"* by Ahlam Mosteghanemi

**كمال خلخال[1]،* سهام سديرة[2]**

[1] *المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار/ قسنطينة (الجزائر)، khelkhal.kamel@ensc.dz*

مخبر الدراسات التعليمية واللسانية والأدبية في الجزائر.

[2] *المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار/ قسنطينة (الجزائر)، sedira.sihem@ensc.dz*

مخبر الدراسات التعليمية واللسانية والأدبية في الجزائر.

تاريخ الإرسال: 2025/08/11 تاريخ القبول: 2025/10/08

**الملخص:**

يهدف البحث إلى كشف كيف تتحول السخرية من أداة جمالية إلى استراتيجية مقاومة فكرية لتفكيك خطابات العولمة وسردياتها الزائفة، كتفكيك ديمقراطية الدبابات الأمريكية وأسطورة الراعي السلام، من خلال طرح التساؤل: كيف يمكن للسخرية أن تعرّي تناقضات العولمة؟ وكيف توظف آلياتها البلاغية في كشف الأبعاد الخفية للهيمنة الأمريكية؟ وما دور القصة الساخرة في تحرير الوعي؟ يعتمد النقد الثقافي مع تحليل بلاغي لكتاب "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا"، راصدًا آليات التناقض والمفارقة والتورية والطباق والكاريكاتور.

ليخلص إلى أن السخرية تتجاوز الفكاهة إلى نقد ثقافي يفكّك البنى الفكرية والاجتماعية المضمرة في العولمة ويحصّن الوعي القارئ من الاختراق الثقافي.

**الكلمات المفتاحية:**
العولمة؛
الأمركة؛
السخرية؛
الهيمنة؛
الخطاب؛

**ABSTRACT:**

This study aims to expose how irony transforms from an aesthetic device into an intellectual resistance strategy that deconstructs globalization narratives and their falsified claims, dismantling the mythology of American democratic imperialism and peace-brokering rhetoric.

t interrogates: How can irony expose the contradictions inherent in globalization? How do its rhetorical mechanisms unveil the concealed dimensions of American hegemony? What role does satirical discourse play in liberating consciousness?

It employs cultural criticism alongside rhetorical analysis of Ahlam Mosteghanemi's *"Their Hearts with Us and Their Bombs upon Us,"* mapping mechanisms of paradox, incongruity, wordplay, antithesis, and caricature.

t concludes that irony transcends mere humor to become cultural critique that dismantles the implicit intellectual and social structures embedded in globalization, fortifying the reader's consciousness against cultural penetration.

**Keywords:**
Globalization,
Americanization,
Irony,
Hegemony,
Discourse,

*كمال خلخال.

**مقدّمة:**

لقد شكّل الخطاب الساخر إغراءً متزايداً للكتّاب والأدباء العرب، خصوصاً في فترة ما بعد الحداثة التي توجه البحث فيها نحو دراسة الخطاب وعلاقاته، تأثراً بمقولات ميشال فوكو (Michel Foucault) حول الخطاب، الذي يعتبره مفتاحاً لفهم العلاقة بين السلطة والمعرفة، فهو –في نظره–ليس مجرد لغة أو كلمات، بل نظام من المعرفة، تستخدمه السلطة لتوجيه الأفكار والممارسات. ضمن هذا التوجه حاول بعض الكتاب والأدباء استغلال إمكانات الخطاب الساخر في التعامل مع تحديات العصر من خلال مقاومة الخطابات والسرديات الكبرى الوافدة بفعل العولمة، وذلك وفق أعمال إبداعية ونقدية متنوعة، بما فيها المقالات السياسية البلاغية.

يُعدّ كتاب "قلوبهم معنا.. وقنابلهم علينا" من بين الأعمال الإبداعية الساخرة التي تنتقد الخطاب السياسي الغربي، وتحاول فضح سردياته المخاتلة وممارساته النرجسية التي تكرس ثنائية المركز/الأطراف، وتجعل من الدول الأخرى مجرد تابع ومستهلك لمنتجاته المتنوعة، بما فيها منتوج الثقافة المعلبّة. وقد سلكت الكاتبة هذا المنحى الساخر –ربما– لكفاءته البلاغية في خلق التناقضات التي يتستر عليها الغرب بقيادة أمريكا.

وينطلق البحث من فرضية أنّ الخطاب الأدبي الساخر لا يؤدي دوراً جمالياً فقط؛ بل يتعداه إلى تفكيك مختلف الخطابات التي تضمر السلطة والهيمنة. لذلك فإن الدراسة تهدف إلى الكشف عن الكيفية التي توظف بها الآليات البلاغية للسخرية في تفكيك خطابات العولمة، وتبيان قدرتها على فضح تناقضاتها.

وفقاً لما تقدم، يمكن طرح الإشكالية التالية: كيف يمكن للسخرية أن تتحول من أداة جمالية إلى استراتيجية مقاومة فكرية تعيد مساءلة سرديات العولمة، وتفكيك بنيتها الخطابية؟

## 1– بحث في الإطار المفاهيمي:

### – مفهوم السخرية:

يسعى الأدب الساخر إلى نقد ومعالجة مختلف القضايا بأسلوب فريد، فهو يلفت الانتباه إلى مواطن الخلل، ويحاول طرح حلول لها دون اللجوء إلى الأساليب المباشرة أو الهجومية التي قد تُنفّر المتلقي. "ولذلك فإنّ الهدف الأولى للأدب الساخر هو هدف تصحيحي سواء على المستوى الأخلاقي أو المستوى الجمالي، ويختلف في لهجته ومنهجه عن كل أساليب التعبير الأخرى التي تهدف إلى الرفض أو الشجب أو التقليل من شأن الموضوع المطروح لسهام الكاتب أو المتحدث"[1]. ومن هنا، فإن الكاتب الساخر يكون واعياً بأهمية تقديم فكرته بذكاء ولطف وبأسلوب رمزي لا يخلو من الدعابة؛ لضمان تفاعل القارئ مع رسالته وإقناعه بأهميتها وجدّيتها بالرغم من تغليفها بطابع ساخر.

تُعدّ السخرية Irony من الظواهر البلاغية القديمة التي عبّر بها الأدباء عن أفكارهم ومشاعرهم، فقد استعملها اليونانيون والرومان، وحتى العرب منذ الجاهلية، حيث استعانوا بها في مختلف أعمالهم الإبداعية كالمسرح والشعر والمقامة. وقد عادت هذه الظاهرة البلاغية بقوة في عصرنا الراهن، أين طرقت السخرية فضاءات عدة كالإعلام

والجرائد والمنتديات، وأضحت توجّه خطابها –بالإضافة إلى الأفراد–إلى المؤسسات والكيانات والدول، وبآليات بلاغية مختلفة قائمة على النقد والاضحاك.

وإذا كانت هذه العودة ذات أهمية بالغة في تقديم الخطابات الناقدة، فلابد من تحديد معالم هذا الفن البلاغي. فقد جاء في معجم لسان العرب تحت مادة (سخر)، أنّ السخرية تأتي بمعنى الاستهزاء، يقال "سَخِرَ منه وبه سَخْراً وسَخَراً ومَسْخَراً وسُخْراً بالضم وسُخْرَةً وسِخْرِيّاً وسُخْرِيّاً وسُخْرِيَّة: هزئ به"[2].

تتّسع دلالة السُّخرية في اللغة لتشمل طيفاً واسعاً من المفردات ذات الصلة، فهي تترادف مع مفردات عديدة من بينها: التهكّم والتندّر واللذع والهزء، كما تتضمّن معاني الهزل والمزاح والفكاهة والهجاء والضحك[3]. وهذا الاتساع الدلالي من شأنه أن يعبّر عن مواقف مختلفة تتراوح بين الاضحاك والنقد اللاذع.

وإذا كان المعنى اللغوي للسخرية يركّز على دلالة الاستهزاء، فإنّ المعنى الاصطلاحي يذهب أبعد من ذلك ليكشف عن أبعادها الجمالية في الخطاب. فقد عرّف نبيل راغب السخرية بأنها "العنصر الذي يحتوي على توليفة درامية من النقد والهجاء، والتلميح، واللماحية، والتهكم، والدعاية، وذلك بهدف التعريض بشخص ما أو مبدأ أو فكرة أو أيّ شيء وتعريته بإلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات وأوجه القصور فيه"[4].

وهناك من عرّف السخرية بأنّها "فنّ إبراز الحقائق المتناقضة والأفكار السلبية في صور تغري بمقاومتها، والرد عليها وإيقاف مفعولها، من غير أن يلجأ إلى الهجوم المباشر، أو يبدو في موقف يكون فيه هدفاً للانتقام"[5]. وبهذا يمكن أن نتمثل السخرية، في بعدها الاصطلاحي، على أنها أداة نقدية راقية تتوسّل الأسلوب غير المباشر للكشف عن العيوب ومواجهة الانحرافات، بأسلوب يجمع بين الإضحاك والإقناع.

تجدر الإشارة، إلى أن سخرية الكتّاب والأدباء تختلف عن سخرية العامة من الناس، فهي "تُبنى على العقل والفطنة، وتقوم على الثقافة، وسِعة العلم، وتهدف إلى أغراض بعيدة تتّصل بالمجتمع وما فيه من مبادئ فاسدة، أو الهيئات المسيطرة، أو الطبقات المنحرفة، أو الشخصيات البارزة"[6]. وهي بهذا الشكل تتجاوز حدود الاضحاك والتسلية إلى نقد ثقافي يعالج مكامن الخلل في البنى الاجتماعية والسياسية والفكرية.

لذلك، يجب على الكاتب الساخر أن يتسلح –في مواجهة خصومه–بأدوات فكرية ومنهجية متمثلة في "الحجة اللاذعة، والمنطق المتماسك، والنظرة الثاقبة، والرؤية الشاملة، والثقافة العميقة"[7]؛ إذا ما أراد التأثير في الجمهور والمؤيّدين واستقطابهم إلى صفّه، وجعلهم يرون في سخريّته نقداً بنّاءً يعكس وعياً ومسؤولية اجتماعية واضحة.

وحين يتصدّى الكاتب الساخر للظواهر الاجتماعية والسياسية والثقافية السائدة، فإنه يعتمد بشكلٍ أساسي على إظهار التناقضات وإبراز المفارقات بين واقع المجتمع وبين مُثله العليا؛ على اعتبار أن "السخرية قائمة على فكرة المقابلة بين الحق والباطل، أو بين الصدق والكذب، أو بين الصحة والزيف، أو بين الكمال والنقص، أو بين الطبع والتكلّف، وبعبارة مختصرة بين ما يكون وما ينبغي أن يكون"[8]. ومن خلال هذه المواجهة، يستطيع الكاتب الساخر توضيح المسافة بين الواقع القائم والواقع المنشود، وبالتالي تحفيز القارئ على إعادة التفكير والتأمّل في المسلّمات، ما يُمكّنه من الوصول إلى إدراكٍ جديدٍ أكثر عمقاً ووعياً.

**– مفهوم العولمة:**

تُعرّف العولمة بأنّها ظاهرة معقدّة ومتعدّدة الأبعاد تشمل جوانب السياسة والاقتصاد والثقافة والتكنولوجيا...، وتتّسم بكونها عملية توسعيّة عابرة للحدود. ويشير محمد عابد الجابري إلى أن العولمة ترجمة للكلمة الإنجليزية Globalization، وهي تعني في جانبها اللغوي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل. وبالتالي فإن العولمة تتضمّن بعداً توسعيّاً تتجاوز فيه الأشياء مجاله المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي لا يخضع للمراقبة[9].

ويدرك المتتبع لظاهرة العولمة صعوبة الإمساك بتعريف جامع لها، فتنوّع مجالاتها (السياسية، الاقتصادية، الثقافية، التكنولوجية، ...)، وتشعّب أبعادها، أدّى إلى ظهور تعريفات عديدة لها، تختلف باختلاف الانتماء الجغرافي والمرجعية الفكرية. وفي هذا الصدد، يعرّف بعض الباحثين الغربيين مصطلح العولمة بأنّها "إضفاء الطابع الكوني والرسمي في نفس الوقت على مختلف أشكال الفكر والاتصال كنتيجة مترتبة على توحيد طرق الإنتاج، والعرض، والتسويق، والتوزيع، وتنظيم العلامات التجارية"[10]. ويركّز هذا التعريف على البعد الاقتصادي الرأسمالي للعولمة، في حين يتجاهل الأبعاد الأخرى التي تؤثّر في القيم والمعايير الثقافية مثل البعدين السياسي والثقافي؛ وهو الأمر الذي يطرح تساؤلاً حول معايير الموضوعية في تناول المفاهيم والمصطلحات.

وتتّخذ العولمة مفهوماً آخر في الساحة العربية، وبالرغم من اختلافات الطرح والموقف حول قضيتها، إلا أنّ معظم الباحثين يرون أن العولمة خطرٌ على المجتمعات والدول؛ لأنّها تتضمّن مفاهيم الاجتياح والهيمنة والاختراق. ويذهب محمد البشر إلى اعتبار العولمة آلية لتمدّد النموذج الثقافي للدول العظمى وتوسّعه على حساب دول الهامش، فالعولمة عنده هي "محاولة مجتمع ما تعميم أنموذجه الثقافي على المجتمعات الأخرى، من خلال التأثير في المفاهيم الحضارية، والقيم الثقافية، والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية، واقتصادية، وثقافية، وتقنية متعددة"[11]. والعولمة وفق هذا الفهم، ترتكز على البعد الثقافي المهيمن، باعتباره فعلاً موجَّهًا نحو سحق الخصوصيات وتذويب الثقافات ضمن نموذجٍ أحاديٍّ يكرّس السيطرة والهيمنة.

يتحدّث محمد عمارة عن العولمة بمصطلح آخر هو الأمركة، والذي يقصد به "اجتياح الشمال للجنوب... اجتياح الحضارة الغربية ممثلة في النموذج الأمريكي للحضارات الأخرى..."[12]، وهو بذلك يجعل المصطلح آلية لفرض الهيمنة الثقافية والسياسية والاقتصادية، وبالتالي تهديد الهويّات المحليّة للدول وتنوّعها الحضاري؛ من خلال تعميم النموذج الأمريكي على حساب النماذج الأخرى.

**2– السخرية كآلية مقاومة للعولمة:**

يرتكز كتاب "قلوبهم معنا وقنابلهم علينا" بشكل كبير على أسلوب السخرية، باعتباره وسيلة فعّالة لمواجهة السرديات الكبرى، وتحفيز التفكير النقدي على كشف تناقضات الخطابات، التي غالبًا ما تختبئ خلف الأفكار المسوّقة عالمياً. ومن هنا، فإنّ الكتابة الساخرة لا تسعى إلى فرض رأي محدّد، بل تحاول منح المتلقي مساحة حرّة للتساؤل والشكّ، وإعادة النظر في المفاهيم التي كانت تبدو له بديهية، لتحرّره بذلك من (عنف البداهات) وسطوتها الفكرية[13].ومن بين هذه السرديات نجد:

**– السخرية ووهم الديمقراطية:**

تعتبر الديمقراطية Democracy من بين الشعارات الرنّانة التي روّجت لها العولمة في العالم العربي باسم حكم الشعب وسيادته، والتي صوّرتها على أنّها نظام الحكم المثالي الذي يجب أن يُقام مقام الحكم الديكتاتوري السائد، والقائم على الاستبداد والاستعباد. وقد تم التسويق لها على أنّها "الشكل النموذجي للدولة، أي دولة دستورية تتعهد بضمان سيادة القانون وحماية الحقوق المدنية والحريّات وغيرها، وتحكمها سلطات يجب أن تتضمّن هيئات تمثيلية منتخبة بأغلبية عددية عبر انتخابات عامة يشارك فيها جميع المواطنين وتنعقد على نحو دوري بين المرشّحين والمنظّمات المتنافسة"[14]. وإذا كانت هذه الديمقراطية نظام حكم نموذجي عند الدول الغربية المركزية، فإن تسويقها خارج هذه الدول يعكس طموحاً للتوسع الإمبريالي ومحاولة للسيطرة على مقدّرات الدول والشعوب.

وفق هذا المسعى الخفي للعولمة، قدمت أحلام مستغانمي كتابتها الساخرة، التي تسعى إلى إظهار الهدف الحقيقي من وراء عولمة الديمقراطية في دول الأطراف، بما فيها الدول العربية. ففي مقالتها «قلوبهم معنا.. وقنابلهم علينا»[15]، عبّرت الكاتبة على النفاق الأمريكي في نضاله الديمقراطي من أجل الإنسانية بطريقة ساخرة.

وقد كانت البداية من العنوان نفسه، أين اختارت الكاتبة آلية "التناقض" التي تجمع بين المثالي والواقعي؛ لتفكيك الخطاب الديمقراطي المعلّب في أمريكا. فقد جمعت الكاتبة بين الكلمتين المتناقضتين (قلوبهم، قنابلهم) لتكشف لنا عن الوجه الإنساني الزائف لأمريكا التي تدّعي محبّة العالم والوقوف إلى جانب الشعوب المظلومة باسم الديمقراطية، بينما تمرّر مشروعها الإمبريالي بالقوّة.

فعبارة "قلوبهم معنا" تحيل على المحبّة والتعاطف مع الشعوب، بينما تحيل عبارة "قنابلهم علينا" على العدوان العسكري وإلى الفرض الفوقي للديمقراطية. وهنا تكمن أهمية السخرية في تفكيك الخطاب الديمقراطي الزائف الذي يصبح مدعاة للضحك، بعد أن نجحت آلية التناقض في الكشف عن ذلك الخطاب المغلّف بالقبل والحامل للقنابل، وفي إثارة دهشة وضحك المتلقي بعد أن نقلته –دون وعي منه–من جو المحبّة والتعاطف إلى مصير الموت والقتل.

تعمق الكاتبة فكرتها بالسخرية من أمريكا وديمقراطيتها المخاتلة في هاته المقالة، وذلك من خلال آلية "مفارقة الموقف" التي قوضت بها السردية الكبرى للديمقراطية، إذ تقول: "فأميركا التي قلبها معنا، وقنابلها علينا، ابتدعت طريقة جديدة في إظهار حبّها لنا، وحرصها على مصالحنا. في اجتياح عاطفي لا عهد للإنسانية به"[16]، إذ لم تعد الديمقراطية نظام حكم يبني الحضارات، وإنما خطاباً طوباوياً رنّاناً يصوّر أمريكا على أنّها مخلّص ومحرّر الشعوب، تمهيداً للاختراق العسكري.

وقد أتاحت هذه الآلية للكاتبة أن تعبّر عن فكرتها بطريقة بلاغية قائمة على إرادة الموقف العكسي والمضاد للموقف المعبَّر عنه؛ وأن تضع المتلقي أمام الموقف الخفي لأمريكا الذي يتجلى في نظرتها النرجسية المتعالية تجاه الشعوب والدول، وبأنّها لا تراعى مصالحهم الوطنية، وإنما مصالحها. وهذا الاجتياح العاطفي –في حقيقته–ما هو إلا اجتياحاً بالقنابل القاتلة. وهنا تكمن جمالية المفارقة التي تعبّر عن الفكرة والموقف بطريقة غير مباشرة وبأسلوب ساخر، يقود المتلقي إلى إعادة النظر في ديمقراطية الدبابات الأمريكية.

ويبدو أنّ النظرة الساخرة للكاتبة حول مشروع عولمة الديمقراطية، يتطابق إلى حدّ كبير مع قناعة إيريك هوبزباوم Eric Hobsbawm حول حقيقة هذا المشروع الواهم، إذ يقول: بأنه يعرف كيف أنّ دولتين على الأقل من الدول التي تؤمن بالديمقراطية، وهما الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، اتخذتا القرارات الفعلية للذهاب إلى الحرب في العراق، حيث تم اتخاذها في الخفاء بعيداً عن قرارات الهيئات والمؤسسات الدولية الشرعية، من أجل تمرير مخططات الهيمنة[17].

- **السخرية وتحطيم سردية «أمريكا راعية السلام»**

أبانت مستغانمي عن وعي كبير حول ما يسمى «الأمن الدولي»، الذي بدأ الترويج له إعلامياً، وفي الهيئات الدولية على أنه ضرورة حتمية فرضتها النزاعات العرقية والتنظيمات الإرهابية التي تهدّد استقرار الدول. ففي معرض حديثها عن تفجيرات 11 سبتمبر 2001، وتفجير بُرجَي التجارة العالمية في أمريكا، وذلك في مقالة لها تحت عنوان «ماذا لو تواضعوا قليلاً...»، تقدّم الكاتبة لنا ذلك الحدث بطريقة بلاغية ساخرة، تكشف بها عن المخابر الخفية التي تصنع العدو وتعزّز وجوده دعائياً حتى يصل مرتبة الظاهرة الدولية، تقول: "لم يكن إذن ما رأيناه مشهدًا من فيلم عودتنا عليه هوليوود؛ كان فيلما حقيقيا عن «عولمة الرعب»، بدمار حقيقي وضحايا حقيقيين. لكن، كما في السينما، كان السيناريو جاهزًا بأعداء جاهزين لمثل هذا النوع من «الأفلام». المفاجأة أنه سيتمّ اختيارهم بـ «قرعة العداوة» من بين المشاهدين. ولا جدوى أيها العرب من إطفاء جهاز التلفزيون"[18].

وقد استعملت الكاتبة آلية المحاكاة الساخرة في تفكيك هذه الدعاية الأمريكية، حيث صوّرت ذلك الحدث على أنه لم يكن طارئاً وإنما كان مثل الأفلام مخطّطاً له سلفاً، وفق سيناريو هيتشكوكي مدروس ذي أبعاد استعمارية وأطماع توسعية، يتم فيه اختيار من يمثّل دور الشرير الذي ستعاقبه أمريكا راعية السلام.

ودور المحاكاة الساخرة هنا يكمن في التعبير بأسلوب بلاغي غير مباشر عن عبثية النظام العالمي الذي تحكمه أمريكا، والمعدّ على مقاسها، وبشكل يجعل القارئ يستدرك حقارة أمريكا ونذالتها في التعامل مع دول العالم ككيانات حاملة لجرثومة الإرهاب، وأنّ أمريكا لا تمارس سوى دور الكاوبوي وشرطي العالم بالقوة. وهذا التعامل الاستعلائي الذي يستبيح سيادة الدول باسم السلام العالمي الزائف؛ لا يجعل أمريكا –في الحقيقة–راعية للسلام، وإنما راعية للإرهاب.

تستثمر مستغانمي القدرة التعبيرية لأسلوب السخرية في إيصال قناعتها حول مقولة «السلام العالمي» الذي تروّج له أمريكا، ليوفّر لها غطاء ومبرّر التدخل الخارجي في شؤون الدول. لذلك نجدها لا تنفك عن توظيف مختلف آليات السخرية؛ التي تعتبرها نموذجاً مثالياً لتعرية خرافة «أمريكا راعية السلام»، ففي مقالتها التي جاءت تحت عنوان: «استثمار الذكاء.. في خلق الأعداء»، توظّف مستغانمي آلية المهارة اللفظية، التي تقوم على الطباق، الذي يجمع بين المتضادين في المعنى: (الأعداء–الحلفاء)، لتمرير خطابها الساخر، تقول: "وقد اعتادت أميركا أن تستثمر ذكاءها وإمكاناتها المخابراتية في خلق أعداء على قياس الظروف السياسية أو التاريخية التي تمرّ بها. بل إنّ حاجتها إلى الأعداء تفوق حاجتها إلى الحلفاء"[19].

أرادت مستغانمي من خلال هذه الآلية البلاغية، أن تخلق مفارقة في ذهن الجمهور القارئ؛ حول التعامل الأمريكي البراغماتي مع الكيانات والدول، والقائم على الازدواجية في المعايير. فبينما تسعى أمريكا لبناء تحالفات استراتيجية لتحقيق السلام العالمي ومكافحة الإرهاب؛ نجدها تتحوّل إلى لاعب أساس في صناعة الأعداء حسب المقاس خدمة لمصالحها وحفاظاً عليها. وهنا تكمن أهمية الطباق كآلية سخرية، وقدرته على خلق المفارقة التهكّمية، التي تكشف عن براغماتية الخطاب الأمريكي ومنطقه النفعي، من خلال جمعه بين كلمتي (الأعداء والحلفاء)، وهو المنطق القائم على إدارة العداوات والأزمات كأداة لتحقيق السيطرة والهيمنة خارج الدولة الأمريكية.

- **السخرية وتفكيك العبقرية الأمريكية:**

دائما ما تروّج العولمة لسردية العبقرية الأمريكية، وتمجّد دورها في التطور التكنولوجي، وفي ازدهار الحضارات، وذلك لما تقدمه من اختراعات وإنجازات تخدم البشرية جمعاء. لكن المتابع الجيد للشأن الأمريكي، سيلحظ حقيقة هذه العبقرية التي ماهي إلاّ محصّلة لذكاء السياسة الأمريكية ودهائها، وذلك من خلال استغلال القوة الناعمة التي تملكها في استثمار العقول المهاجرة التي همشتها أوطانها؛ لأجل تحقيق التقدم والهيمنة على العالم.

ولذلك حاولت الكاتبة في مقالتها «أمريكا التي نحسد» أن تنبّه إلى هذا الاختراق الخطير الذي يستهدف الأدمغة ويحتويها إعلامياً ومادياً واستغلالها لصالح أمريكا، إذ تقول: "وما معجزة أمريكا إلاّ في ذكاء استقطاب العقول والعبقريات المهدورة، وإعادة تصديرها إلى العالَم من خلال اختراعات وإنجازات علميّة خارقة. ما الأسد في النهاية سوى خرفان مهضومة!"[20]

تقدم الكاتبة فكرتها هاته بأسلوب ساخر قائم على التورية التي توهم السامع بالمعنى القريب لتخفي المعنى البعيد المقصود، وذلك لأجل إثارة ذهن القارئ حول حقيقة العقل الأمريكي، ودعوته إلى التمعّن في أسطورة العبقرية الأمريكية. لذلك نجدها تعبّر في الجملة الأخيرة "ما الأسد في النهاية سوى خرفان مهضومة!" عن المعنى المقصود بطريقة بلاغية تهكّمية، بحيث تظهر المعنى القريب لكلمة «الأسد» التي تحيل على أقوى الحيوانات المفترِسة، وكلمة «خرفان» التي تحيل على الحيوانات العشبية الأليفة، لتخفي لنا المعنى البعيد الذي يجتهد القارئ في الوصول إليه، والذي سيكتشفه من سياق القراءة والموضوع المتناول.

وهذا المعنى يتجسد في سخرية الكاتبة من السياسة الأمريكية التي تروّج للمعجزة الأمريكية؛ التي تمجّد العقل الأمريكي وقدرته على سيادة العالم، ودوره في خدمة الإنسانية، فالأسد –حسبها–هو أمريكا، والخرفان ما هي إلا تلك الأدمغة التي فضّلت الهجرة إلى أمريكا لتمكّنها من تسيّد العالم والسيطرة عليه. وبهذه الطريقة البلاغية الساخرة في التقديم؛ استطاعت الكاتبة استقطاب القرّاء وتوجيههم، ليس فقط نحو حقيقة المجد الأمريكي، ولكن –كذلك– نحو السخرية والتهكّم منه.

- **السخرية ومقاومة الغزو الثقافي:**

تطرّقت الكاتبة إلى قضية عولمة الثقافة الأمريكية، وكيف تم الترويج لها على أنها النموذج المثالي للإنسانية. ففي مقالتها «قل لي.. ماذا تشرب؟» تعتمد مستغانمي على التصوير الكاريكاتوري كآلية ساخرة، في توصيف

العلامات التجارية لكبرى الشركات العالمية العابرة للقارات، تقول: "في زمن الطهارة الأميركية، والنوايا الحسنة لكبرى الشركات العالميّة، كيف لا ننام مطمئنّين وكوكاكولا بطيبة الأمّ تريزا تفكّر فينا، والقدّيس «ماكدونالد» يدعو لنا مع كلِّ همبورغر بالخير و«نايك» و«أديداس» يقودان خطانا نحو أحلامنا القومية الكبرى"[21].

تعمد الكاتبة إلى المبالغة والتضخيم في تقديم تلك العلامات التجارية، بحيث تصوّرها في شكل شخصيات دينية، خيّرة، سعياً منها إلى تشويش ذهن الجمهور القارئ، ودفعه نحو التساؤل عن حقيقة الماركات الأمريكية، وهل فعلا تسعى إلى الخير وخدمة الإنسانية؟!، أم أنّ الأمر يتعلق بفرض نمط استهلاكي وثقافي موحّد يذيب الخصوصيات. وهنا تكمن أهمية التصوير الكاريكاتيري، الذي يقلب المعنى، ويحيل إلى المعنى المضاد من خلال المبالغة في الوصف، وسيدرك القارئ أن توصيف تلك العلامات في شكل قدّيسين وشخصيات خيّرة؛ ما هو إلا تهكّماً وسخرية من حقيقتها (العلامات)، التي تتجلى في استخدامها كأدوات ناعمة للغزو الثقافي واختراق الخصوصيات التي تنفرد بها الدول، تمهيدا لفرض الأنموذج الأمريكي.

**خاتمة:**

أبانت هذه الدراسة عن فعّالية السخرية –باعتبارها أداة بلاغية–في تفكيك خطابات العولمة، خصوصاً تلك التي تروّج للنموذج الأمريكي بوصفه مثالاً أوحد للتقدم الحضاري والمستقبل الإنساني المشرق. فقد كشفت الكاتبة أحلام مستغانمي عن قدرة الخطاب الساخر في تعرية خطابات العولمة، التي تتجسّد في شعارات: الديمقراطية، أمريكا راعية السلام العالمي، العبقرية الأمريكية، وأمريكا رائدة العمل الخيري؛ مستعملة في ذلك مختلف الآليات البلاغية الساخرة مثل: التناقض، المفارقة، التورية، الطباق، المحاكاة، والتصوير الكاريكاتوري. والتي تعبّر عن المعنى بطريقة غير مباشرة وبطريقة ساخرة.

كما بيّنت الدراسة أن السخرية لم تعد أداة جمالية غرضها الإضحاك والتهكّم؛ بل تحوّلت إلى خطاب مقاوم للسرديات الكبرى التي تسوّق لها العولمة، إذ تسعى إلى إثارة وعي الجمهور القارئ، ودفعه إلى إعادة النظر في تلك السرديات، ووضعها موضع تساؤل، وبالتالي تحصينه من كل محاولات الاختراق والتذويب الثقافي. فمن خلال آليات السخرية التي تكشف المتناقضات، يستطيع الجمهور القارئ أن يكتشف الأبعاد الخفية للعولمة واستراتيجياتها المخاتلة، التي تقود إلى الاختراق الثقافي والتقويض الهوياتي.

وختاما، يمكن القول: إن السخرية من أهم الآليات التعبيرية التي يعتمدها الكتّاب والأدباء، من أجل أداء وظيفة نقدية وإصلاحية تتجاوز حدود الفكاهة الظاهرة إلى تفكيك البنى الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تحكم الواقع.

**المصادر والمراجع:**


- إدجار أندرو، سيدجويك بيتر، (2014)، موسوعة النظرية الثقافية –المفاهيم والمصطلحات الأساسية، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- البحيري أسامة محمد (2009)، العولمة والأدب العربي المعاصر، المجلة العربية، الرياض، ع 394، ص4-38.

- ابن منظور (د ت)، لسان العرب، المجلد:4، دار صادر، بيروت.
- بنعبد العالي عبد السلام (2024)، السخرية أداة للمقاومة السياسية: https://www.majalla.com/node/322915/ (2/11/2024)
- توما منير (2007)، السخرية ودورها في الأدب: http://camp.dolab.net/dolab/aljabha-arch/index.asp?i=30166 (8/11/2007)
- راغب نبيل، (2000)، الأدب الساخر، مكتبة الأسرة، مصر.
- عمارة محمد، (1999)، مخاطر العولمة على الهوية الوطنية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
- فاعور ياسين أحمد، (1993)، السخرية في أدب إميل حبيبي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة – تونس.
- محمد عابد الجابري (1997)، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- مستغانمي أحلام، (2010)، قلوبهم معنا.. وقنابلهم علينا، دار الآداب، بيروت–لبنان.
- الهوّال حامد عبده، (1982)، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- هوبزباوم إيريك، (2009)، العولمة والديمقراطية والإرهاب، الدار العربية للعلوم ناشرون، الدوحة–قطر.


**الهوامش والإحالات:**

[1] نبيل راغب، الأدب الساخر، مكتبة الأسرة، مصر، 2000، ص13.

[2] ابن منظور، لسان العرب، المجلد:4، دار صادر، ص352.

[3] ينظر: ياسين أحمد فاعور، السخرية في أدب إميل حبيبي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة –تونس، 1993. ص14.

[4] نبيل راغب، مرجع سابق، ص13.

[5] حامد عبده الهوّال، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1982، ص35.

[6] ياسين أحمد فاعور، مرجع سابق، ص66-67.

[7] نبيل راغب، مرجع سابق، ص15.

[8] منير توما، السخرية ودورها في الأدب (الجبهة): http://camp.dolab.net/dolab/aljabha-arch/index.asp?i=30166

[9] ينظر: محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1997، ص136.

[10] أندرو إدجار، بيتر سيدجويك، موسوعة النظرية الثقافية –المفاهيم والمصطلحات الأساسية، تر: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة، 2014، 455-456.

[11] محمد البشر، أوروبا تحارب العولمة، المجلة العربية، الرياض، عدد 343، ربيع الآخر سنة 1418 هـ، ص36. نقلا عن: أسامة محمد البحيري، العولمة والأدب العربي المعاصر، المجلة العربية، الرياض، عدد 394، ذو القعدة 1430هـ–نوفمبر 2009م، ص05.

[12] ينظر: محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الوطنية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1999، ص14.

[13] نظر: عبد السلام بنعبد العالي، السخرية أداة للمقاومة السياسية (مجلة المجلة): https://www.majalla.com/node/322915/

[14] إيريك هوبزباوم، العولمة والديمقراطية والإرهاب، تر: أكرم حمدان، نزهت طيب، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الدوحة قطر، 2009، ص84

[15] أحلام مستغانمي، قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، دار الآداب، ط3، بيروت–لبنان، 2010، ص127.

[16] المصدر نفسه، ص127.

[17] ينظر: إيريك هوبزباوم، مرجع سابق، ص102.

[18] أحلام مستغانمي، مصدر سابق، ص133-134.

[19] المصدر نفسه، ص137.

[20] المصدر نفسه، ص148.

[21] المصدر نفسه، ص194.